الإعجاز الغيبي والتاريخي

المبحث الأول:
ذكر هامان في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: 38].

يخاطب فرعون وجهاء قومه، أنه لا يعرف معبودًا لهم غيره، فينادي هامان طالبًا منه أن يبني له من الطين المحروق وهو القرميد بناءً شاهقًا، لعله يرى إله موسى.

تشير هذه الآية إلى معجزات عديدة منها:

1 ـ تأليه فرعون نفسه: في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ والأبحاث الأثرية التي قامت حول الحضارة المصرية القديمة تؤكد أن الفراعنة منذ الأسرة الرابعة كانوا يصرحون ببنوتهم للإله رع الذي يمثل إله الشمس والذي كان يعبدها قدماء المصريين، بل إن اسم رع دخل في ألقاب الفراعنة، مثل (رع نب) أي الرب الذهبي، ولعل أوضح دليل على تأليه الفراعنة لأنفسهم كما يقول (بريستد) عالم الآثار، والتي حفظتها نصوص الأهرام، هي أنشودة للشمس تردد فيها هوية الملك بإله الشمس، إن هذه الأنشودة تخاطب مصر، في تعداد طويل ورائع للمنافع التي تستمتع بها، تحت حماية وسيادة إله الشمس، فعلى ذلك يمُنح فرعون مصر

المنافع نفسها، ولهذا يجب أن يتسلم نفس الهبات من مصر، ولذا الأنشودة بأكملها تعاد بوضع اسم فرعون أينما يجيء اسم رع أو حورس في الأنشودة الأصلية[1].

2 ـ الإعجاز الثاني: هو استعمال الفراعنة الآجرّ في بناء الصروح: فقد طلب فرعون من هامان أن يبني له من الطين المحروق (الآجرّ) صرحًا، وهذا يعتبر من الإعجاز التاريخي للقرآن الكريم، فقد ظل الاعتقاد السائد عند المؤرخين أن الآجرّ لم يظهر في مصر القديمة قبل العصر الروماني، وذلك حسب رأي المؤرخين[2] والذي يرى في ذلك إشكالًا في أن الآيات السابقة التي تبين طلب فرعون من هامان أن يبني له صرحًامن الآجرّ أو الطين المحروق، وظل هذا هو رأي المؤرخين إلى أن عثر عالم الآثار بتري على كمية من الآجرّ المحروق، بنيت به قبور وأقيمت به بعضًا من أسس المنشآت، ترجع إلى عصور الفراعنة رعمسيس الثاني ومرنبتاح وسيتي الثاني من الأسرة التاسعة عشر (1308 ـ 1184ق.م)، وكان عثوره عليها في: موقع أثري غير بعيد من (بي رعمسيس أو قنطير) عاصمة هؤلاء الفراعنة في شرق الدلتا[3].

3 ـ أما الإعجاز الثالث: هو الإشارة إلى أحد أعوان فرعون باسمه «هامان» ذكر الدكتور موريس بوكاي ما نصه[4]: (يذكر القرآن الكريم شخصًا باسم هامان هو من حاشية فرعون، وقد طلب إليه هذا الأخير أن يبني صرحًا عاليًا يسمح له، كما يقول ساخرًا من موسى، أن يبلغ رب عقيدته. وأردت أن أعرف إن كان هذا الاسم يتصل باسم هيروغليفي من المحتمل أنه محفوظ في وثيقة من وثائق العصر الفرعوني، ولم أكن لأرضى بإجابة عن ذلك إلا إذا كان مصدرها رجلًاحجّة فيما يخص اللغة الهيروغليفية وهو يعرف اللغة العربية الفصحى بشكل جيد، فطرحت السؤال على عالم المصريات Egyptologue وهو فرنسي يتوافر فيه الشرطان المذكوران تمامًا. لقد كتبت أمامه اسم العلَم العربي (أي هامان) ولكنني أحجمت عن إخبار مخاطبي بحقيقة النص المعني، واكتفيت بإخباره أن هذا النص يعود تاريخه بشكل لا يقبل النقض إلى القرن السابع الميلادي، وكان جوابه الأول أن هذا الأصل مستحيل، لأنه لا يمكن وجود نص يحتوي على اسم علم من اللغة

الهيروغليفية وله جرس هيروغليفي ويعود إلى القرن السابع الميلادي وهو غير معروف حتى الآن، والسبب أن اللغة الهيروغليفية نسيت منذ زمن بعيد جدًا.

بيد أنه نصحني بمراجعة (معجم أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة Dictionary Personal names of the New) والبحث فيه إن كان هذا الاسم الذي يمثل عندي الهيروغليفية موجودًا فيه حقًّا. لقد كان يُفترض ذلك، وعند البحث وجدته مسطورًا في هذا المعجم تمامًا كما توقعته، ويا للمفاجأة!!

ها أنا فضلًا عن ذلك أجد أن مهنته كما عُبر عنها باللغة الألمانية (رئيس عسال المقالع) ولكن دون إشارة إلى تاريخ الكتابة إلا أنها تعود إلى الإمبراطورية التي يقع فيه زمن موسى، وتشير المهنة المذكورة في الكتابة إلى أن المذكور كان مهتمًا بالبناء مما يدعو إلى التفكير بالمقاربة التي يمكن إجراؤها بين الأمر الذي أصدره «فرعون» في القرآن وبين هذا التحديد في الكتابة[5] قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: 38].

المراجع:

كتاب القرآن والعلم المعاصر الدكتور موريس بوكاي.

(1) تطور الفكر والدين في مصر القديمة بريستد ص185.

(2) مثل الدكتور عبد المنعم أبو بكر في كتابه الصناعات ص 485.

(3) كتاب الحضارة المصرية تأليف محمد بيومي مهران، ج3 ص429.

(4) القرآن والعلم المعاصر للدكتور موريس بوكاي.

(5) كتاب القرآن والعلم المعاصر الدكتور موريس بوكاي ص90، 91 دار ملهم.

المبحث الثاني:

نجاة فرعون ببدنه وجثة فرعون اليوم

كشف الدكتورموريس بوكاي[1] في كتابه «القرآن والعلم الحديث» عن تطابق ما ورد في القرآن الكريم بشأن مصير فرعون موسى بعد إغراقه في اليم مع الواقع المتمثل في وجود جثته إلى يومنا هذا آيةً للعالمين حيث قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: 92].

يقول الدكتور بوكاي: «إن رواية التوراة بشأن خروج اليهود مع موسى عليه السلام من مصر تؤيد بقوة الفرضية القائلة بأن منفتاح Mineptah خليفة رمسيس الثاني هو فرعون مصر في زمن موسى عليه السلام، وإن الدراسة الطبية لموميا منفتاح Mineptah قدمت لنا معلومات مفيدة أخرى بشأن الأسباب المحتملة لوفاة هذا الفرعون. إن التوراة تذكر أن الجثة ابتلعها البحر ولكنها لا تعطي تفصيلًا بشأن ما حدث لها لاحقًا. أما القرآن فيذكر أن جثة الفرعون الملعون سوف تنقذ من الماء كما جاء في الآية السابقة، وقد أظهر الفحص الطبي لهذه الموميا أن الجثة لم تظل في الماء مدة طويلة، إذ أنها لم تظهر أية علامات للتلف التام بسبب المكوث الطويل في الماء[2].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: 77 ـ 78].

ولقد ذكر موريس بوكاي ما نصه: «وجاءت نتائج التحقيقات الطبية لتدعم الفرضية السابقة، ففي عام 1975 جرى في القاهرة انتزاع خزعة صغيرة من النسيج العضلي، بفضل المساعدة القيمة التي أسداها الأستاذ Michfl Durigon. وأظهر الفحص الدقيق بالميكروسكوب حالة الحفظ التامة لأصغر الأجزاء التشريحية

للعضلات، وتشير إلى أن مثل هذا الحفظ التام لم يكن ممكنًا لو أن الجسد بقي في الماء بعض الوقت، أو حتى لو أن البقاء خارج الماء كان طويلًا قبل أن يخضع لأولى عمليات التحنيط. وجرت الدراسات الطبية ـ الشرعية للمومياء بمساعدة Ceccaldi مدير مخبر الهوية القضائية في باريس والأستاذ Durigon وسمحت لنا بالتحقق من وجود سبب لموت سريع كل السرعة بفعل كدمات جمجمية ـ مخية سببت فجوة ذات حجم كبير في مستوى صاقورة القحف مترافقة مع آفة رضية، ويتضح أن كل هذه التحقيقات متوافقة مع قصص الكتب المقدسة التي تشير إلى أن فرعون مات حين ارتد عليه الموج»[3].

ويبين الدكتور بوكاي وجه الإعجاز في هذه القضية قائلًا: «وفي العصر الذي وصل فيه القرآن للناس عن طريق محمد ﷺ، كانت جثث كل الفراعنة الذين شك الناس في العصر الحديث صوابًا أو خطأً أن لهم علاقة بالخروج، كانت مدفونة بمقابر وادي الملوك بطيبة على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية. في عصر محمد ﷺ كان كل شيء مجهولًا عن هذا الأمر ولم تكتشف هذه الجثث إلا في نهاية القرن التاسع عشر[4]، وبالتالي فإن جثة فرعون موسى التي مازالت ماثلة للعيان إلى اليوم تعدّ شهادة مادية في جسد محنط لشخص عرف موسى عليه السلام، وعارض طلباته، وطارده في هروبه ومات في أثناء تلك المطاردة، وأنقذ الله جثته من التلف التام ليصبح آية للناس كما ذكر القرآن الكريم[5].

وهذه المعلومة التاريخية عن مصير جثة فرعون لم تكن في حيازة أحد من البشر عند نزول القرآن ولا بعد نزوله بقرون عديدة، لكنها بينت في كتاب الله تعالى قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام.

المصادر:

(1) طبيب فرنسي جراح من أشهر أطباء فرنسا، اعتنق الإسلام بعد دراسة مستفيضة للقرآن الكريم وإعجازه العلمي.

(2) القرآن والعلم الحديث/ د. موريس بوكاي.

(3) كتاب القرآن والعلم المعاصر الدكتور موريس بوكاي ترجمة د. محمد إسماعيل بصل د. محمد خير البقاعي.

(4) دراسة الكتبُ المقدسة في ضوء المعارف الحديثة د. موريس بوكاي، ص 269 دار المعارف ط 4/1977، بتصرف.

(5) المرجع السابق.

المبحث الثالث:

اكتشاف مساكن قوم عاد

قد ذكر الله تعالى قوم عاد في سياق حديثه عن نبيه هود عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50].

ولقد حدد القرآن مكان قوم عاد في الأحقاف، والأحقاف جمع حقف وهي الرمال، ولم يعيِّن القرآن موقعها، إلا أن الإخباريين كانوا يقولون إن موقعها بين اليمن وعُمان. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: 21].

ولقد أخبر القرآن الكريم أن قوم عاد بنوا مدينة اسمها (إرم) ووصفها القرآن بأنها كانت مدينة عظيمة لا نظير لها في تلك البلاد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: 6 ـ 8].

وقد ذكر المؤرخون أن عادًا عبدوا أصنامًا ثلاثة يقال لأحدها: صداء، وللآخر: صمود، وللثالث: الهباء، وذلك نقلًا عن تاريخ الطبري.

ولقد دعا هود قومه إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام لأن ذلك سبيل لاتقاء العذاب يوم القيامة.

ولكن ماذا كان تأثير هذه الدعوة على قبيلة (عاد)؟

لقد احتقروا هودًا ووصفوه بالسفه والطيش والكذب، ولكن هودًا نفى هذه الصفات عن نفسه مؤكدًا لهم أنه رسول من رب العالمين لا يريد لهم غير النصح. قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: 66].

التذكير بنعم الله:

تابع هود مخاطبة قومه محاولًا إقناعهم بالرجوع إلى الطريق الحق مذكرًا إياهم بنعم الله عليهم، فقال: هل أثار عجبكم واستغرابكم أن يجيئكم إرشاد من ربكم على لسان رجل منكم ينذركم سوء العاقبة بسبب الضلال الذي أنتم عليه؟ ألا تذكرون أن الله جعلكم وارثين للأرض من بعد قوم نوح الذين أهلكهم الله بذنوبهم، وزادكم قوة في الأبدان وقوة في السلطان، وتلك نعمة تقتضي منكم أن تؤمنوا بالله وتشكروه، لا أن تكفروا به. ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69].

ويحدث القرآن أن قوم هود لم يقوموا بحق الشكر لنعم الله عليهم، بل انغمسوا في الشهوات، وتكبروا في الأرض، فقال لهم هود: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: 128 ـ 136]. ونلاحظ أن الآيات أشارت إلى أن قوم عاد كانوا مشهورين في بناء الصروح العظيمة والقصور الفارهة. ولما عصوا رسولهم أنزل الله تعالى عليهم العذاب وذلك بأن أرسل عليهم ريحًا عاصفة محملة بالغبار والأتربة والتي غمرتهم وقضت عليهم قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحاقة: 6].

أما أهم النقاط التي تطرق القرآن لذكرها في قصة هود:

1 ـ أن قوم هود كانوا يسكنون في الأحقاف والأحقاف هي الأرض الرملية، ولقد حددها المؤرخون بين اليمن وعمان.

2 ـ أنه كان لقوم عاد بساتين وأنعام وينابيع قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: 132 ـ 134].

3 - أن قوم عاد بنوا مدينة عظيمة تسمى إرم ذات قصور شاهقة لها أعمدة ضخمة لا نظير لها في تلك البلاد لذلك قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [الفجر: 6 - 8].

4 - إنهم كانوا يبنون القصور المترفة والصروح الشاهقة ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: 128 - 129].

5 - لما كذبوا هودًا أرسل عليهم الله تعالى ريحًا شديدة محمّلة بالأتربة قضت عليهم وغمرت دولتهم بالرمال.

الاكتشافات الأثرية لمدينة «إرم»:

في بداية عام 1990 امتلأت الجرائد العالمية الكبرى بتقارير صحفية تعلن عن: «اكتشاف مدينة عربية خرافية مفقودة»، «اكتشاف مدينة عربية أسطورية»، «أسطورة الرمال (عبار)»، والأمر الذي جعل ذلك الاكتشاف مثيرًا للاهتمام هو الإشارة إلى تلك المدينة في القرآن الكريم. ومنذ ذلك الحين، فإن العديد من الناس؛ الذين كانوا يعتقدون أن «عادًا» التي روى عنها القرآن الكريم أسطورة وأنه لا يمكن اكتشاف مكانها، لم يستطيعوا إخفاء دهشتهم أمام اكتشافات تلك المدينة التي لم تُذكر إلا على ألسنة البدو قد أثار اهتمامًا وفضولًا كبيرين.

ويعتبر نيكولاس كلاب، عالم الآثار الهاوي، هو الذي اكتشف تلك المدينة الأسطورية التي ذُكرت في القرآن الكريم[1]. ولأنه مغرم بكل ما هو عربي، فقد عثر على كتاب مثير جدًّا بينما هو يبحث حول التاريخ العربي، وعنوان ذلك الكتاب «أرابيا فيليكس» لمؤلفه «بيرترام توماس» الباحث الإنجليزي الذي ألفه عام 1932، و«أرابيا فيليكس» هو الاسم الروماني للجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية والتي تضم اليمن والجزء الأكبر من عمان. أطلق اليونان على تلك المنطقة اسم «العرب السعيد»[2]، وأطلق عليها علماء العرب في العصور الوسطي اسم «اليمن السعيدة»، وسبب تلك التسميات أن السكان القدامى لتلك المنطقة كانوا أكثر من في عصرهم حظًا. والسبب في ذلك يرجع إلى موقعهم الإستراتيجي من ناحية؛ حيث إنهم

اعتُبروا وسطاء في تجارة التوابل بين بلاد الهند وبلاد شمال شبه الجزيرة العربية، ومن ناحية أخرى فإن سكان تلك المنطقة اشتهروا بإنتاج «اللبان» وهو مادة صمغية عطرية تُستخرَج من نوع نادر من الأشجار. وكان ذلك النبات لا يقل قيمة عن الذهب حيث كانت المجتمعات القديمة تُقبل عليه كثيرًا.

وأسهب الباحث الإنجليزي «توماس» في وصف تلك القبائل «السعيدة الحظ»[3]، ورغم أنه اكتشف آثارًا لمدينة قديمة أسستها واحدة من تلك القبائل، وكانت تلك المدينة هي التي يطلق عليها البدو اسم «عُبار»، وفي إحدى رحلاته إلى تلك المنطقة، أراه سكان المنطقة من البدو آثارًا شديدة القدم وقالوا إن تلك الآثار تؤدي إلى مدينة «عُبار» القديمة. ولكن «توماس» الذي أبدى اهتمامًا شديدًا بالموضوع، تُوفِي قبل أن يتمكن من إكمال بحثه.

وبعد أن راجع «**كلاب**» ما كتبه الباحث الإنجليزي، اقتنع بوجود تلك المدينة المفقودة التي وصفها الكتاب، ودون أن يضيع المزيد من الوقت بدأ بحثه.

استخدم «كلاب» طريقتين لإثبات وجود مدينة «عُبار»:

أولًا: أنه عندما وجد أن الآثار التي ذكرها البدو موجودة بالفعل، قدم طلبًا للالتحاق بوكالة ناسا الفضائية ليتمكن من الحصول على صور لتلك المنطقة بالقمر[4] الصناعي، وبعد عناء طويل، نجح في إقناع السلطات بأن يلتقط صورًا للمنطقة.

ثانيًا: قام «**كلاب**» بدراسة المخطوطات والخرائط القديمة بمكتبة «**هانتينجتون**» بولاية كاليفورنيا بهدف الحصول على خريطة للمنطقة. وبعد فترة قصيرة من البحث وجد واحدة، وكانت خريطة رسمها «**بطلمى**» عام 200 ميلادية، وهو عالم جغرافي يوناني مصري. وتوضح الخريطة مكان مدينة قديمة اكتُشفت بالمنطقة والطرق التي تؤدي إلى تلك المدينة. وفي الوقت نفسه، تلقى أخبارًا بالتقاط وكالة ناسا الفضائية للصور التي جعلت بعض آثار القوافل مرئية بعد أن كان من الصعب تمييزها بالعين المجردة وإنما فقط رؤيتها ككل من السماء.

وبمقارنة تلك الصور بالخريطة القديمة التي حصل عليها، توصل «**كلاب**» أخيرًا إلى النتيجة التي كان يبحث عنها؛ ألا وهي أن الآثار الموجودة في الخريطة القديمة تتطابق مع تلك الموجودة في الصور التي التقطها القمر الصناعي. وكان المقصد النهائي لتلك القبائل موقعًا شاسعًا يُفهم أنه كان في وقت من الأوقات مدينة. وأخيرًا، تم اكتشاف مكان المدينة الأسطورية التي ظلت طويلًا موضوعًا للقصص التي تناقلتها ألسن البدو. وبعد فترة وجيزة، بدأت عمليات الحفر، وبدأت الرمال تكشف عن آثار المدينة القديمة، ولذلك وُصفت المدينة القديمة بأنها (أسطورة الرمال «**عبار**»).

ولكن ما الدليل على أن تلك المدينة هي مدينة قوم «**عاد**» التي ذُكرت في القرآن الكريم؟

منذ اللحظة التي بدأت فيها بقايا المدينة في الظهور، كان من الواضح أن تلك المدينة المحطمة تنتمي لقوم «**عاد**» ولعماد مدينة «**إرَم**» التي ذكرت في القرآن الكريم؛ حيث إن الأعمدة الضخمة التي أشار إليها القرآن بوجه خاص كانت من ضمن الأبنية التي كشفت عنها الرمال.

قال د. زارينز وهو أحد أعضاء فريق البحث وقائد عملية الحفر: إنه بما أن الأعمدة الضخمة تُعد من العلامات المميزة لمدينة «**عُبار**»، وحيث إن مدينة «**إرَم**» وُصفت في القرآن بأنها ذات العماد أي الأعمدة الضخمة، فإن ذلك يعد خير دليل على أن المدينة التي اكتُشفت هي مدينة «**إرَم**» التي ذكرت في القرآن الكريم، قال تعالى في سورة الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [الفجر: 6 ـ 8].

المدينة الأسطورية والتي ذكرت في القرآن باسم إرم Iram والتي أنشأت لِكي تَكُونَ فريدةَ جدًّا حيث تبدو مستديرة ويمر بها رواق معمّد دائري، بينما كُلّ المواقع الأخرى في اليمن التي اكتشفت حتى الآن كَانتْ أبنيتها ذات أعمدة مربعة، يُقالُ: بأن سكان مدينة إرم بَنوا العديد مِن الأعمدةِ التي غطيت بالذهبِ أَو صَنعتْ من الفضةِ وكانت هذه الأعمدةِ رائعة المنظر.

قال تعالى على لسان نبي الله هود: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: 128 ـ 129].

إن الذي يسافر إلى جزيرة العرب يلاحظ انتشار الصحاري بكثرة في معظم المناطق باستثناء المدن والمناطق التي زرعت لاحقًا. لكن القرآن الكريم يذكر أن هذه الصحاري كانت يومًا من الأيام جنات وعيون.

قال لهم هود: قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: 128 ـ 135].

ولقد كشفت السجلات التاريخية أن هذه المنطقة تعرضت إلى تغيرات مناخية حولتها إلى صحاري، والتي كَانتْ قبل ذلك أراضٍ خصبة مُنْتِجة، فقد كانت مساحات واسعة مِن المنطقةِ مغطاة بالخضرة كما أخبر القرآنِ، قبل ألف وأربعمائة سنة.

ولقد كَشفَت صور الأقمار الصناعية التي التقطها أحد الأقمار الصناعية التابعة لوكالة الفضاء الأمريكية ناسا عام 1990م عن نظام واسع مِن القنواتِ والسدودِ القديمةِ التي استعملت في الرَيِّ في منطقة قوم عاد والتي يقدر أنها كانت قادرة على توفير المياه إلى 200.000 شخص[5].

كما تم تصوير مجرى لنهرين جافين قرب مساكن قوم عاد.

أحد الباحثين الذي أجرى أبحاثه في تلك المنطقة، قالَ: «لقد كانت المناطق التي حول مدينة مأرب خصبة جدًّا، ويعتقد أن المناطق الممتدة بين مأرب وحضرموت كانت كلها مزروعة».

كما وَصفَ الكاتبُ القديم اليونانيُ Pliny هذه المنطقة أنها كانت ذات أراضٍ خصبة جدًّا وكانت جبالها تكسوها الغابات الخضراء وكانت الأنهار تجري من تحتها.

ولقد وجدت بعض النقوشِ في بَعْض المعابدِ القديمةِ قريبًا من حضرموت، تصور بعض الحيوانات مثل الأسود التي لا تعيش في المناطق الصحراوية، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن المنطقة كانت جنات وأنها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: 132 ـ 134].

أما سبب اندثار حضارة عاد فقط فسرته مجلة A m'interesse الفرنسية التي ذكرت أن مدينة إرم أو «عُبار» قد تعرضت إلى عاصفة رملية عنيفة أدت إلى غمر المدينة بطبقات من الرمال وصلت سماكتها إلى حوالي 12 مترًا[6]. وهذا تمامًا هو مصداق لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: 16].

من أخبر محمد بن عبد الله عن قصة عاد ومن أخبره عن مكانهم بالتحديد في منطقة الأحقاف أي أرض الرمال والتي هي الربع الخالي الذي يتميز برماله المتحركة التي تشغل معظم مساحته، ومن أخبره أن قوم عاد بنوا مدينة عظيمة تسمى **إرم** فيها قصور وقلاع ضخمة تتميز بأعمدة عظيمة، إنه رب العالمين منزل القرآن على قلب حبيبه محمد بن عبد الله. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 50 ـ 52]. وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: 13 ـ 16].

PERISHED NATIONS HARUN YAHYA تم اقتباس بعض المعلومات أثناء إعداد البحث من كتب الكاتب التركي هارون يحيى. ساهم في الترجمة الأخت مي أحمد من مصر.

كتاب مع الأنبياء تأليف عفيف طبارة.

من آيات الإعجاز في القرآن الكريم الدكتور زغلول النجار.

يمكن الاطلاع على هذه المواقع للتأكد من صدق المادة العلمية:

http://www.pbs.org/wgbh/nova/ubar/zarins

http://observe.arc.nasa.gov/nasa/exhibits/ubar/ubar_0.html

(1) فريق لوس أنجلوس يكشف «عبار» المدينة الأسطورية المفقودة، تأليف توماس موج. (2)/ لوس أنجلوس تايمز، 5 فبراير 1992.

Thomas H. Maugh II, «Ubar, Fabled Lost City, Found by LA Team», The Los Angeles Times, 5 February 1992.

(2) كمال الصليبي، تاريخ العرب، كتب القبائل1980.

(3) برترام توماس: «أرابيا فيليكس»/ (عبر الربع الخالي بشبه الجزيرة العربية)/ نيويورك/ شريبرز سانز 1932/ ص: 161.

(4) تشارلز جراب/ «اللبا ن»/ اكتشاف/ يناير 1993 Charlene Crabb «Frankincense», Discover, January 1993.

(5) Joachim Chwaszcza, Yemen, 4PA Press, 1992.

(6) M'Interesse, January 1993 فراس نور الحق www.55a.net.

المبحث الرابع:

طوفان نوح عليه السلام

لقد تحدث القرآن الكريم عن الأمم السابقة البائدة وكيف كانت مواقفهم تجاه رسل الله تعالى، ومن القصص التي وردت في القرآن الكريم قصة نوح عليه السلام والطوفان.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 105 ـ 122].

قال تعالى في سورة نوح: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [نوح: 1 ـ 2].

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 44 ـ 49].

الإعجاز الغيبي: لعل هذه القصة من أعظم صور الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم والتي صدقتها المكتشفات الأثرية الحديثة:

قصة الطوفان عند الحضارات القديمة:

من المعروف منذ زمن طويل أن قصص الطوفان تنتشر انتشارًا واسعًا في جميع أنحاء العالم، فهناك قصص عن الطوفان في بعض مجتمعات الشرق الأدنى القديم، وفي الهند وبورما والصين والملايو وأستراليا وجزر المحيط الهادي، وفي جميع مجتمعات الهنود الحمر.

ولعل أهم هذه القصص قصة الطوفان السومرية، وقصة الطوفان البابلية، وقصة الطوفان اليهودية كما ترويها التوراة، وعلى الرغم من التحريف الذي يشوب بعض تلك القصص إلا أنها متفقة على أنه قد حدث طوفان عظيم، وأنه كان هناك رجل صالح قام ببناء سفينة وحمل فيها من كل الحيوان زوجين إضافة إلى أهله ومن تبعه من الناس المؤمنين بالله، وسوف نعرض لأهم هذه القصص:

أولًا: **قصة الطوفان السومرية**: كان الناس يعتقدون حتى أواخر القرن الماضي أن التوراة هي أقدم مصدر لقصة الطوفان، ولكن الاكتشافات الحديثة أثبتت أن ذلك مجرد وهم، حيث عثر في عام 1853م على نسخة من رواية الطوفان البابلية، وفي الفترة ما بين 1889م و1900م، اكتشفت أول بعثة أثرية أمريكية قامت بالتنقيب في العراق اللوح الطيني الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان في مدينة «نيبور» (نفر) ثم تبعه آخرون، ويبدو من طابع الكتابة التي كتبت بها القصة السومرية أنها ترجع إلى ما يقرب من عهد الملك البابلي الشهير «حمورابي» وعلى أنه من المؤكد أنها كانت قبل ذلك.

ملخص القصة حسب الرواية السومرية تتحدث عن ملك يسمى (زيوسودا) كان يوصف بالتقوى ويخاف من الله، ويكب على خدمته في تواضع وخشوع، أُخبر

بالقرار الذي أعده مجمع الآلهة بإرسال الطوفان الذي صاحبه العواصف والأمطار التي استمرت سبعة أيام وسبع ليال يكتسح هذا الفيضان الأرض، حيث يوصف (زيوسودا) بأنه الشخص الذي حافظ على الجنس البشري من خلال بناء السفينة.

ثانيًا: **قصة الطوفان البابلية:**

1 - **ملحمة جلجامش:** في الثالث من ديسمبر 1872 م أعلن «سيدني سمث» نجاحه في جمع القطع المتناثرة من ملحمة جلجامش بعضها إلى بعض، مكتوبة في اثني عشر نشيدًا، أو بالأحرى لوحًا، ومحتوية على قصة الطوفان في لوحها الحادي عشر، وملخص القصة أنه كان هناك رجل يسمى جلجامش أمرته الآلهة بأن يبني سفينة، وأن يدع الأملاك، وأنه احتمل على ظهر الفلك بذور كل شيء حي، إلخ...، ثم استوت السفينة على جبل نيصير (نيزير) [وهو جبل بين الدجلة والزاب الأسفل].

2 - **قصة بيروسوس:** في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، وعلى أيام الملك «أنتيوخوس الأول» (280، 260 ق.م)، كان هناك أحد كهنة الإله «ردوك» البابلي، ويدعى بيروسوس قد كتب تاريخ بلاده باللغة اليونانية في ثلاثة أجزاء، وشمل الكتاب على قصة الطوفان وتقول: إنه كان يعيش ملك اسمه «أكسيسو ثووس» هذا الملك يرى فيما يرى النائم أن الإله يحذره من طوفان يغمر الأرض ويهلك الحرث والنسل، فيأمره بأن يبني سفينة يأوي إليها عند الطوفان.

فيبني هذا الملك سفينة طولها مائة وألف ياردة وعرضه أربعمائة وأربعون ياردة، ويجمع فيه كل أقربائه وأصحابه، ويختزن فيه زادًا من اللحم والشراب فضلًا عن الكائنات الحية من الطيور وذات الأربع. ويغرق الطوفان الأرض.. وتستقر السفينة على جبل حيث ينزل وزوجته وابنته وقائد الدفة، ويسجد الملك لربه ويقدم القرابين إلخ...

3 - **قصة الطوفان اليهودية كما ترويها التوراة:** وردت هذه القصة في الإصحاحات من السادس إلى التاسع من سفر التكوين وتجري أحداثها على

النحو التالي: (رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، فحزن أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه، وعزم على أن يمحو الإنسان والبهائم والدواب والطيور عن وجه الأرض، وأن يستثني من ذلك نوحًا لأنه كان رجلًا بارًّا كاملًا في أجياله، وسار نوح مع الله..... وتزداد شرور الناس، وتمتلىء الأرض ظلمًا، ويقرر الرب نهاية البشرية، ويحيط نوحًا علمًا بما نواه، آمرًا إياه بأن يصنع فلكًا ضخمًا، وأن يكون طلاؤها بالقار والقطران من الداخل ومن الخارج، حتى لا يتسرب إليها الماء، وأن يدخل فيها اثنين من كل ذي جسد حي، ذكرًا وأنثى، فضلًا عن امرأته وبنيه ونساء بيته، هذا إلى جانب طعام يكفي من في الفلك وما فيه..) (تكوين 6: 1 ـ 22).

ويكرر الرب أوامره في الإصحاح التالي: (فيأمره أن يدخل الفلك ومن معه، ذلك لأن الرب قرر أن يغرق الأرض ومن عليها بعد سبعة أيام ذلك عن طريق مطر يسقط على الأرض أربعين يومًا وأربعين ليلة، ويصدع نوح بأمر ربه فيأوي إلى السفينة ومن معه وأهله، ثم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء، واستمر الطوفان أربعين يومًا على الأرض. وتكاثرت المياه ورفعت الفلك عن الأرض وتغطت المياه، ومات كل جد كان يدب على الأرض، من الناس، والطيور والبهائم والوحوش وبقي نوح والذين معه في الفلك حتى استقرت الفلك على جبل أرارات).

إن هذه النصوص برغم ما حوت من تحريف إلا أنها بمجموعها تؤكد حدوث قصة الطوفان وهي في شكلها العام تتطابق مع القرآن الكريم، فمن أخبر محمدًا بتفاصيل تلك القصة التي كانت أحداثها قبل ولادته بآلاف السنين.

الأدلة الأثرية في العراق تدل على ثبوت قصة الطوفان:

يرى بعض علماء التاريخ وبعض المفسرين أن الطوفان الذي أصاب قوم نوح لم يشمل كامل الكرة الأرضية بل شمل منطقة معينة هي وادي الرافدين، ولقد

أجرت عدة بعثات أثرية ببعض التنقيبات في سهول بلاد الرافدين للبحث عن الآثار التي تذخر بها تلك المنطقة التي شهدت عدة حضارات، ولقد كشفت تلك التنقيبات إلى أن هذه المنطقة شهدت طوفانًا عظيمًا قضى على الحضارة السومرية التي كان أهلها يقطنون في سهول الرافدين.

فقد ظهرت آثار الطوفان جلية في أربعة مدن رئيسة في بلاد الرافدين: أور ـ أريش ـ شورباك ـ كيش. ولقد كشفت التنقيبات الأثرية إلى أن هذه المدن قد ضربها الطوفان في حوالي 3000 قبل الميلاد.

التنقيبات في أور: إن أقدم ما تبقى من هذه الحضارة هو مدينة أور المعروفة اليوم (بتل المكيار) والتي يعود تاريخها إلى عام 7000 قبل الميلاد، إن مدينة أور كان قد سكنها حضارات متعاقبة سادت ثم بادت ومن خلال المكتشفات الأثرية لمدينة أور تبين بأن تلك الحضارة ضربها طوفان رهيب وأن حضارات نشأت مكانها تدريجيًّا.

لقد قاد عالم الآثار (سير ليونارد وولي) حملة تنقيب من قبل المتحف البريطاني وجامعة (بنسلفانيا) عام 1928م في المنطقة الصحراوية بين بغداد وخليج فارس، ولقد وصف (ورينر كيلر) عالم الآثار الألماني تنقيبات (سير ليونارد وولي) كالتالي: «عندما قدمت حملة علماء الآثار إلى تل المكيار التي ارتفاعها 50 قدم جنوب المعبد، وبعد التنقيب وجدوا صف طويل من القبور فوق بعضها وقناطر حجرية رائعة وخزائن الكنوز التي كانت ممتلئة بـ أقداح ثمينة، وجرار رائعة ومزهريات وطاولات وبرونزيات وفسيفساء وفضة تحيط بهذه الأشياء التي يغطيها الغبار، وبعد عدة أيام من الحفر والتنقيب نادى أحد العمال الذين مع (وولي) وقال: نحن على مستوى الأرض ووضع نفسه في النفق ليقنع نفسه». ظن (وولي) إن هذا كل شيء، إنه رمل نقي (غريد) وهو نوع من الرمل ينحل بالماء فقط. لقد قرروا أن يواصلوا الحفر ويجعلوا الحفر أعمق، أعمق وأعمق، ذهبت الحملة إلى داخل الأرض ثلاثة أقدام، ستة أقدام، فجأة وعلى عمق عشرة أقدام توصلوا إلى دليل واضح على مساكن بشرية. وينقل (ماكس مالوان) عن سير ليونارد وولي «الطوفان

هو الدليل الوحيد الممكن لهذا الطمي الهائل الذي توضع تحت التلة في مدينة أور، الذي فصل بين حضارتين، بين مدينة أور السومرية ومدينة العبيد الأشورية»[1].

ولقد دلت التحليلات المجهرية لهذا الطمي أو الغريد الهائل الذي توضع تحت التلة في أور أنه تكدس هنا نتيجة الطوفان.

مدينة كيش: وكذلك الأمر تم الكشف عن آثار للطوفان في مدينة أخرى من مدن بلاد الرافدين وهي كيش السومرية المعروفة اليوم بـ تل الأحيمر، ويصف تاريخ السومريون القدماء هذه المدينة بـ (الموقع الأول للأسرة الحاكمة)[2].

مدينة شورباك: المدينة الجنوبية في بلاد الرافدين (شوربا) المعروفة اليوم بـ تل الفرح، تحمل أيضًا دليلًا واضحًا على الطوفان من خلال الأبحاث الأثرية التي قام بها (أريش سكمرت) من جامعة بنسلفانيا في هذه المدينة من عام 1920 ـ 1930، كشفت هذه التنقيبات الأثرية النقاب عن ثلاثة طبقات من المساكن التي امتدت في عصر ما قبل التاريخ إلى الأسرة الحاكمة الثالثة كمدينة أور (2112 ـ 2004) قبل الميلاد. وكانت الاكتشافات المميزة بيوتًا مبنية بشكل رائع مترافقة مع كتابة مسمارية وقوائم من الكلمات تدل على التطور الراقي الذي كان موجودًا في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد[3].

وكذلك كانت هناك آثار للطوفان في مدينة **أريش** الأثرية.

اكتشاف شواهد الحياة قبل الطوفان: واشنطن ـ ناسا: عثر مستكشفون أميركيون على عمق مئات الأمتار تحت سطح البحر الأسود على بقايا منطقة سكانية في بقعة وقعت فيها سيول مدمرة قبل 7500 عام، تعادل في أهميتها اكتشاف أطلال بومبي المدينة الرومانية القديمة التيدمرها بركان فيزوف قبل عدة قرون.

وذكرت رويترز في تحقيق لها بهذا الشأن أن روبرتبا لارد أحد المستكشفين أوضح أن فريقه من جمعية ناشيونال جيوغرافيك[4] عثر على هيكل مستطيل قد

يكون لبناء على عمق نحو 310 أمتار تحت سطح البحر، مما يشير إلى أن أناسًا كانوا يعيشون هناك قبل إغراق طوفان هائل للمنطقة، الأمر الذي يعتبر شواهد على مستوطنات بشرية. وقال بالارد في حديث هاتفي من سفينة الأبحاث نورذرنهور أيزون على مسافة 20 كيلومترًا قبالة الساحل التركي أن الاكتشاف هائل، ويرجع المعمار والقطع الفنية فيه إلى العصر البرونزي الحديث الذي كانت بدايته قبل نحو 7000 عام، كما أنه يضم كمية كبيرة من الأطلال تحت سطح الماء مما يشير إلى أن عددًا كبيرًا من الناس كانوا يعيشون فيها، واعتبر هذا الاكتشاف يفوق في أهميته اكتشاف حطام التايتانيك في عام 1985.

وأضاف أن فريقه توصل إلى هذا الاكتشاف قبل ثلاثة أيام في الأسبوع الثاني من بعثة تستغرق خمسة أسابيع، ويأمل أعضاء الفريق في التوصل إلى اكتشافات أخرى، وسيقومون بعمليات تجفيف وتصوير وثائقي دقيق قبل إحضار أي شيء إلى السطح. وتم التعرف على القطع المكتشفة بمجسات ضوئية «سونار»، وتم تصويرها بواسطة عربة متنقلة اسمها أزجوس في حجم الغسالة الكهربائية متصلة بباخرة الأبحاث بكابلات من الألياف الزجاجية، وتبلغ مساحة الهيكل المستطيل الذي تم اكتشافه أربعة أمتار عرضًا و15 مترًا طولًا.

المصادر:

تم الاستفادة من أبحاث الداعية التركي هارون يحيى في إعداد البحث.

فراس نور الحق، محرر موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة www.55a.net

(1) Werner Keller, Und die Bibel hat doch recht (The Bible as History; a Confirmation of the Book of Books).

(2) Kish," Britannica Micropaedia 6, 893.

(3) Shuruppak," Britannica Micropaedia 10, 772 4.

(4) www.geocities.com/islamicmiracles/Woodenplatefound.htm.

- كتاب دراسات تاريخية من القرآن الكريم ج4. تأليف الدكتور محمد بيومي مهران. العدد العاشر 5/10/2000 شبكة عربيات الموقع التالي:

www.geocities.com/islamicmiracles/Woodenplatefound.htm

موقع هارون يحيى قسم اللغة الإنكليزية:

The Bible as History; a Confirmation of the Book of Books.

المبحث الخامس:

أصحاب الكهف

تحكي سورة الكهف، وهي السورة الثامنة عشر من القرآن الكريم، عن مجموعة من الفتية لجؤوا إلى أحد الكهوف للاختباء من حاكم أنكر وجود الله ومارس ألوانًا من القهر والظلم على المؤمنين، والآيات التالية توضح ذلك: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ

غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: 9 ـ 26].

ووفقًا للاعتقاد السائد فإن أصحاب الكهف، الذين أثنت عليهم المصادر الإسلامية والمسيحية، تعرضوا لطغيان الإمبراطور الروماني «دقيوس». وفي محاولة من هؤلاء الفتية للتصدي لظلم «دقيوس» وطغيانه، حذروا قومهم مرارًا من أن يتركوا دين الله. ولكن أمام إعراض قومهم، واشتداد ظلم الإمبراطور وتوعّده لهم بالقتل، ترك الفتية مساكنهم.

وتكشف السجلات التاريخية عن عدد من الأباطرة الذين مارسوا سياسة الاضطهاد والإرهاب والتعذيب في حق المؤمنين من المسيحيين الأوائل الذين كانوا متمسكين بالمعتقد المسيحي الأصلي الصافي.

وفي خطاب أرسله الحاكم الروماني «بيلونيوس» (690 ـ 113 ميلادية)؛ بشمال غرب الأناضول، إلى الإمبراطور «تريانيوس»، أشار «بيلونيوس» إلى «أصحاب المسيح» الذين أوذوا لرفضهم عبادة تمثال الإمبراطور. ويعد هذا الخطاب أحد الوثائق الهامة التي تتحدث عن الظلم والقهر الذي تعرض له المسيحيون الأوائل آنذاك.

وفي ظل تلك الظروف، رفض هؤلاء الفتية الخضوع لهذا النظام الكافر، وعبادة الإمبراطور إلـهًا من دون الله ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: 14 ـ 15].

أما بالنسبة للمكان الذي كان يعيش فيه أصحاب الكهف، فإن الآراء تتعدد وتتباين، ولكن أكثر هذه الآراء اعتدالًا هو مدينتي «إفسوس» و«طرسوس». ويمكن القول إن جميع المصادر المسيحية على وجه التقريب تعتبر مدينة «إفسوس» هي مكان الكهف الذي التجأ إليه هؤلاء الفتية المؤمنين. ويتفق بعض الباحثين المسلمين ومفسري القرآن الكريم مع المسيحيين على أن «إفسوس» هي المكان، كما أوضح آخرون بشيء من التفصيل أن مكان الكهف ليس «إفسوس»، وعليه فقد حاولوا أن يثبتوا أن الحدث وقع في مدينة «طرسوس».

وفي هذا البحث سنتناول كلتا المدينتين بالدراسة ومع هذا، فإن هؤلاء الباحثين والمفسرين جميعهم، بما فيهم المسيحيون، اتفقوا أن الحدث وقع في عهد الإمبراطور الروماني «دِقيوس»، ويقال له أيضًا: «دِقيانوس»، وكان ذلك في حوالي عام 250 ميلادية.

ويعتبر «قيوس»، إلى جانب «نيرو»، هو الإمبراطور الروماني الذي نكل بالمسيحيين تنكيلًا شديدًا. وأثناء فترة حكمه القصيرة، أجبر «دِقيوس» كل من يخضع لحكمه أن يقدم القرابين للآلهة، بل وأن يأتي بما يثبت أنه فعل ذلك ويعرضه على كبار الدولة. ومن لم يستجب منهم، كان يأمر بقتله.

تنص المصادر المسيحية على أن الغالبية العظمى من المسيحيين رفضوا ممارسة تلك الأفعال الوثنية، وهموا بالفرار من مدينة إلى أخرى، أو الاختباء في أماكن نائية. ومن المرجح أن أصحاب الكهف كانوا من ضمن هؤلاء المسيحيون الأوائل.

هل كان أصحاب الكهف في «إفسوس»؟

وفيما يتعلق بالمدينة التي عاش فيها الفتية والكهف الذي أووا إليه، فتشير المصادر إلى عدة أماكن، ويرجع ذلك إلى سببين:

الأول: رغبة الناس في الاعتقاد بأن مثل هؤلاء الفتية الشجعان كانوا يعيشون في مدينتهم.

الثاني: الشبه الكبير بين الكهوف في تلك المنطقة؛ حيث إنه في جميع الأماكن تقريبًا، يوجد مكان للعبادة يقال: إنه بُني فوق الكهوف.

وكما هو معروف فإن المسيحيون اتفقوا على أن تكون «إفسوس» هي المكان المقدس؛ حيث يوجد في تلك المدينة منزلًا يُقال: إنه للسيدة مريم العذراء، وقد أصبح فيما بعد كنيسة. لذلك فإنه من المرجح أن يكون أصحاب الكهف قد أقاموا في واحد من تلك الأماكن المقدسة. علاوة على ذلك، فإن بعض المصادر المسيحية تؤكد أن «إفسوس» هي المكان.

ويعد القديس السوري «جيمز» (وُلد 452 ميلادية) أقدم المصادر في ذلك الصدد، واستشهد «جيبون» المؤرخ الشهير في كتابه «تدهور وسقوط الدولة الرومانية» بالكثير من دراسة «جيمز». ووفقًا لما جاء في هذا الكتاب، فإن الإمبراطور الذي عاب الفتية السبعة المسيحيين المؤمنين هو «دِقيوس». وقد حكم «دقيوس» الإمبراطورية الرومانية في الفترة ما بين 249 و251 ميلادية. واشتهرت فترة حكمه بألوان العذاب التي مارسها ضد أتباع النبي عيسى عليه السلام.

ويرى المفسرون المسلمون أن المكان الذي وقع فيه الحدث هو إما «أفسوس» أو «أفسُس» ، في حين يرى «جيبون» أنه «إفسوس». ولأن تلك المدينة تقع على الساحل الغربي لبلاد الأناضول، فإنها تعد من أكبر موانئ ومدن الإمبراطورية الرومانية. واليوم يُعرف حطام تلك المدينة باسم «مدينة إفسوس العتيقة».

ويرى الباحثون المسلمون أن الإمبراطور الذي كان يحكم البلاد في الفترة التي قام فيه أصحاب الكهف من رقدتهم اسمه «تيزوسيوس»، في حين يرى «جيبون» أن اسمه «ثيودسيوس الثاني»، وقد حكم هذا الإمبراطور البلاد في الفترة من 408 إلى 450 ميلادية بعدما دانت الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية.

وفي بعض التفسيرات المتعلقة بالآية التالية، قيل: إن باب الكهف كان من نحو الشمال، وعليه فإن ضوء الشمس كان لا يصل إلى الداخل، ولهذا فإن من يمر

على الكهف كان لا يستطيع أن يرى ما بداخله، والآية توضح هذا المعنى: ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17].

وأشار عالم الآثار دكتور«موسى باران» في كتابه «إفسوس» إلى مدينة «إفسوس» باعتبارها المكان الذي كان يعيش فيه مجموعة الفتية، وأضاف قائلًا: «في عام 250 ميلادية، كان يعيش سبعة فتية في «إفسوس» وقد اختاروا المسيحية دينًا لهم وتركوا عبادة الأوثان، وفيما هم يبحثون عن مكان للهروب بدينهم، عثروا على كهف بالمنحدر الشرقي لجبل «بيون». وقد رأى ذلك جنود الرومان فبنوا حائطًا ليسدوا به مدخل الكهف»[1].

واليوم يشاهد العديد من المباني الدينية وقد بنيت فوق هذه الحجارة والقبور، أظهرت الحفريات التي قام بها المعهد الأسترالي الأثري عام 1926م أن الآثار التي ظهرت على سفح جبل بيون تعود إلى بناء تم تشييده تكريمًا لأصحاب الكهف في منتصف القرن السابع (خلال حكم ثيودوسيوس الثاني)[2].

هل أصحاب الكهف في طرسوس؟

والمكان الثاني الذي أُشير إليه باعتباره المكان الذي عاش فيه أصحاب الكهف هو مدينة «طرسوس». وبالفعل فإن هناك كهفًا شديد الشبه بذلك الذي وصفه القرآن الكريم، ويقع على جبل يُعرف باسم «إنسيلوس» أو «بنسيلوس» بشمال غرب «طرسوس». وفكرة أن تكون مدينة «طرسوس» هي المكان الصحيح كان رأي علماء المسلمين.

وقد حدد «**الطبري**»، وهو واحد من أهم مفسري القرآن الكريم، اسم الجبل الذي يوجد به الكهف على أنه «بنسيلوس» وذلك في كتابه «**تاريخ الأمم**» وأضاف أن الجبل في «طرسوس»، وقال أيضًا «**محمد أمين**»، وهو من أشهر مفسري القرآن، أن الجبل كان اسمه «بنسيلوس» وأنه في «طرسوس». ويمكن أن تنطق

«بنسيلوس» على أنها «إنسيلوس»، وفي رأيه أن الاختلاف بين الكلمتين يرجع إلى اختلاف نطق حرف «الباء»، أو لفقدان حرف من الكلمة الأصلية وهو ما يُعرف «بالنحت التاريخي للكلمة».

وأوضح «**فخر الدين الرازي**»[3]، وهو أيضًا من أشهر علماء القرآن الكريم، أنه بالرغم من أن المكان يُطلق عليه «إفسوس»، فإن القصد هو «طرسوس» لأن «إفسوس» ما هي إلا مسمى آخر لمدينة «طرسوس». بالإضافة إلى ذلك، فإنه في شروح كل من: القاضي البيضاوي والناصفي وتفسير الجلالين والتبيان[4]. وتفسير العاملي والناصوحي بيلمين وغيرهم من العلماء، تم تحديد المكان على أنه «طرسوس». هذا إلى جانب أن كل هؤلاء المفسرين فسروا قوله تعالى: ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: 17، 18]. بقولهم: إن مدخل الكهف كان من نحو الشمال.

وكذلك كان مُقام أصحاب الكهف موضعًا للاهتمام أيام الخلافة العثمانية، وقد أُجريت بعض الأبحاث بهذا الشأن. وتمت بعض المراسلات وتبادل المعلومات حول هذا الموضوع في مخازن السجلات العثمانية برئاسة الوزراء؛ فعلى سبيل المثال: اشتمل خطاب بعثته إدارة «طرسوس» المحلية إلى رئيس خزانة الدولة العثمانية على طلب رسميّ بإعطاء مرتبات لهؤلاء المسؤولين عن تنظيف «الكهف» والحفاظ عليه. ونص الرد على أنه لكي تُخصص مرتبات لهؤلاء الأشخاص، لا بد من التأكد أن هذا المكان هو بالفعل المكان الذي أقام به أصحاب الكهف. والبحث الذي أُجري بهذا الصدد قد ساعد كثيرًا في تحديد المكان الحقيقي للكهف.

وبعد التحقيقات التي أجراها المجلس القومي تم إعداد تقرير ينص على الآتي: «إلى الشمال من مدينة طرسوس، في بلدة «عَدَنة» ، يوجد كهفًا على جبل

يبعد ساعتين عن المدينة ومدخله يتجه ناحية الشمال كما أخبر القرآن الكريم». وكثيرًا ما كانت المناظرات حول هوية أصحاب الكهف وأين ومتى كانوا يعيشون حافزًا للسلطات لكي تجري المزيد من البحوث بهذا الشأن. وبرغم التعليقات العديدة، فإن أيًّا من هذه التعليقات لا يعتبر أكيدًا؛ ولذلك فإن أسئلة مثل: «في أي فترة عاش هؤلاء الفتية المؤمنون؟» و«أين الكهف الذي أخبرنا عنه القرآن الكريم؟» ظلت دون إجابة واضحة.

المصادر:

مترجم عن كتاب NATIONS R. HARUN YAHYA PERISHED قام بالترجمة من الإنكليزية إلى العربية الأخت الكريمة مي أحمد من مصر.

المراجع:

(1) نقلاً عن كتاب الأمم البائدة للداعية التركي هارون يحيى.

(2) موسى باران، إيفس الصفحة 23 ـ 24.

(3) ماسنيون، أوبرا مينورا، المجلد الثالث، الصفحات 104 ـ 108.

(4) تفسير روح المعاني للفخر الرازي، من تفسير القاضي البيضاوى، والناصفي، والجلالين، والتبيان.

المبحث السادس:

تحول الصحاري إلى جنات

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا**».

وتصدق نبوءة المصطفى ﷺ بعد ألف وأربعمائة سنة، فتتحول المنطقة حول تبوك إلى مزارع عامرة بأفضل المزروعات، وأشهى الثمار والخضروات، وذلك لأن منطقة تبوك وما حولها تحوي أهم خزانات المياه تحت سطح الأرض في الجزيرة العربية (فمتكوِن جبل الساق، ومتكونات مجموعة تبوك الرملية) والتي تتميز بتركيبها من الحجر الرملي عالي المسامية والنفاذية، مما تزيد مساحته عدة عشرات الآلاف من الكيلومترات المربعة إلى الغرب من تبوك وتعمل كمصيدة هائلة لمياه الأمطار التي تتحرك من سطح الأرض إلى ما تحت سطحها فتميل الطبقات إلى الشرق، فتخزن تحت أرض تبوك كمخزون مائي ضخم يمثل أكبر مخزون مائي في أرض شبه الجزيرة العربية.

وهذا المخزون المائي الكبير قد تجمع خلال الفترات المطيرة من تاريخ شبه الجزيرة العربية، وقد ثبت أنه خلال الخمس والثلاثين ألف سنة الماضية مرت المنطقة بثماني دورات من دورات الجفاف التي تخللتها سبع دورات من المطر الغزير، ونحن نحيا في آخر دورة من دورات الجفاف تلك، ويبلغ متوسط هطول المطر فيها في السنة بحوالي التسعة سنتيمترات يصل نصفها إلى خزانات المياه تحت السطحية، ويتبخر الباقي أو يفيض إلى البحر.

كذلك في صخور تبوك تكوّن سمك هائل من صخور الصلصال والطّفل التي تتبادل مع الطبقات الرملية، وينتج عن تعرية هذه الطبقات المختلطة من الصخور

الرملية والصلصالية والطفلية تربة من أجود أنواع الترب الصالحة للزراعة، وبذلك تهيأت منطقة تبوك بكل مبررات تحولها إلى جنان كما تنبأ المصطفى ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة.

ليس هذا فقط:

بل إن الأرض تتحرك الآن نحو الدخول في دورة جليدية جديدة، وحينما يزحف الجليد من أحد قطبي الأرض، أو منهما معًا في اتجاه خط الاستواء تتصحر الأرض التي تكسى بالجليد تصحرًا جليديًا فتهلك النباتات، وتهاجر الحيوانات، ويرحل السكان، وفي نفس الوقت يتحول الحزام الصحراوي الممتد من موريتانيا غربًا إلى أواسط آسيا شرقًا إلى منطقة مطر غزيرة كما حدث مرات من قبل، وحينئذ تفيض الأودية الجافة أنهارًا، وتكسى الصحاري القاحلة بالخضرة فتتحول مروجًا بهيجة تصديقًا لنبوءة المصطفى ﷺ التي قالها في حديث صحيح يرويه عنه أبو هريره: رضي الله عنه؛ حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهاراً**».

وتأتي المعارف المكتسبة في كل من مجالي علوم الأرض وعلوم المناخ لتؤكد على أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا، وعلى أنها سوف تعود مروجًا وأنهارًا كما كانت، ويأتي حديث رسول الله ﷺ الذي نحن بصدده يتحدث عن منطقة تبوك بصفة خاصة، وعن أرض العرب بصفة عامة على أنها سوف تمتلئ جنانًا في عصر يلي عصر النبوة الخاتمة فيقول ﷺ مخاطبًا راوي الحديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله تبارك وتعالى عنه: «**يوشك يا معاذ، إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانًا**».

المصدر:

بحث للدكتور زغلول النجار.